Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن هذه الزاوية، مثلا، فإن الدراسات النقدية حول الجنس الأدبي تساهم في تغيير وضعه، كما تعمل على «الارتقاء به». وبهذا المعنى فإن الدراسة النقدية حول السيرة الذاتية، بحكم ارتباطها، كالجنس، بالمؤسسة، تخضع، في نفس الوقت، في الحدود التي يعتبر فيها الجنس تاريخيا، لشروط كل «عملية تاريخية». غير أن رغبة الثبات، التي هي في أصل فكرة الجنس، يمكن أن تقود إلى وهمين في النظر: الأول هو وهم الخلود، الذي يرى أن السيرة الذاتية وجدت منذ القدم، وإن يكن بدرجات وبأشكال متنوعة. وإذن، فمن الممكن كتابة تاريخها منذ القدم إلى يومنا هذا، مع رسم تطورها وتقدمها وتحولاتها، إلى إنجازاتها المعاصرة. وبالطبع فإن القائلين بأن السيرة الذاتية جنس معاصر بالأساس يمكن أن نجد لهم ما لا يحصى من الأمثلة المعارضة. ويعتبر ف.لوجون أن هذا الوهم طبيعي، لأنه يتناسب مع العملية التاريخية الأكثر عفوية التي تحملنا على إعادة توزيع عناصر الماضي استجابة لمقولاتنا الحالية بدون توقف.

وأما الوهم الثاني فهو المتعلق بظهور الجنس ، وتبعا لذلك فإن الجنس الجديد الذي ولد دفعة واحدة، سيبقى ثابتا وفقا لجوهره. ومن المريح للناقد أن يجد «أصلا» يسمح له بالفصل الدقيق بين «سابق» و «لاحق» بناء على منظور مسيحي. وبما أن الأصل هو النموذج في نفس الوقت، فإنه يقصي الماضي ويوصد باب المستقبل.

يوجه ف. لوجون، في محاولة منه لتفنيد هذين الوهمين، انتقادات واضحة لكل من فراي وبروس، بناء على تصور نظري، مفاده أن من بين وظائف نقد الجنس هو تقوية الجنس المدروس بإثبات ديمومته واستقلاله الذاتي، وكذا عقلنة نظامه المعياري. وهو ما حاول بيانه من خلال المشاريع الدراسية التي أعدها للبحث في مجال السيرة الذاتية، انطلاقا من مفهوم الميثاق السيرذاتي، منتهيا إلى القول: إن هناك تعالقا بين تطور الأدب السيرذاتي وصعود طبقة سائدة جديدة، هي البورجوازية، مثلما هو عليه أمر الارتباط الوثيق بين الجنس الأدبي للمذكرات وتطور النظام الإقطاعي. بيد أن المجال يحيل هنا،مجددا ،على النقاش الإيديولوجي والشكوك المنهجية، ذلك أن معظم النقاد المشتغلين بالأجناس السيرذاتية يساهمون في إيديولوجية عصرنا، كما يقول، ويلتزمون موقفا لصالح الظاهرة السيرذاتية التي قد يجنون منها ربحا شخصيا. ولذلك تراه يحذر من مغبة السقوط في فخاخ الربط الميكانيكي بين المجتمع وجنس معين اعتمادا على عزل النسق الأدبي. وحقيقة الأمر بالنسبة إليه أن التفكير في شروط هذا النسق وإمكانياته ووظيفته الاجتماعية، لا يمكن أن تتم إلا من داخله. أما وأن الأدب لا يمكن التفكير فيه كلا مستقلا بذاته... فهو يعني أن استقلالية الأدب نسبية جدا، وأنه في المقام الأول نسق اجتماعي بدوره.